﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ٧٤﴾ [الحج: 74]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقال من بيان تعظيم الباطل إلى عدم تقدير الحقِّ

لمّا ذكرتِ الآيات السّابقة صفات الأصنام التي يعبدها المشركون من دون الله تعالى، وما هي عليه من الضعف والهوان، وبيان ما عليه المشركون من تعظيم هذه الأصنام الهامدة، التي لا تقوى على نفع نفسِها، انتقلت الآيات لبيانِ موقف المشركين من المستحق للعبادة الحقَّة ﷻ؛ لبيان جهلهم وظلمهم وظلمة عقولهم وقلوبهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَدَرُواْ﴾: (قدر) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ الشَّيْءِ وكُنْهِهِ ونِهايَتِهِ، فالقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ، يُقالُ: قَدْرُهُ كَذا، أيْ: مَبْلَغُهُ، وكَذَلِكَ القَدَرُ، وقَدَرْتُ الشَّيْءَ أقْدِرُهُ وأقْدُرُهُ مِنَ التَّقْديرِ[1]، ومعنى ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّـهَ﴾ في الآية عدم تعظيم المشركين لربّ العالمين حقّ التّعظيم، وعدم معرفته حقّ المعرفة، حيث جعلوا هذه الأصنام على نهاية خساستها شريكة له في المعبودية[2].

2) ﴿لَقَوِيٌّ﴾: (قوي) أصلٌ يَدُلُّ على شِدَّةٍ وخِلاف ضعف، والقَويُّ: خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القوَى وهي جمع قوَّةٍ من قوَى الحبل[3]، وليس في القرآن من التركيب إلا (القوة) بمعناها المذكور، وجمعها (القوَى)، والصفة (القويّ)[4]، والقويّ في الآية: من أسمائه تعالى، وهو مستعمل في القدرة على كلّ مراد له سبحانه[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (قدر).
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 252.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قوي).
(4) محمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (قوي).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 343.

3) ﴿عَزِيزٌ﴾: (عَزَّ) أصلٌ يدلّ على شدّة وقوّة وما يُضاهيها، من غلبة وقَهْر[1]، والعِزّة: حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب، من قولهم: أرض عَزاز، أي: صُلْبة[2]، والعِزّ خلاف الذُّلّ، كما أنّ الذُّلّ لين ورخاوة، ومنه العِزّة: الشّدّة والقوّة والامتناع، والعزيز: القويّ الشّديد الذي لا يُغلب[3]، ومعنى العزيز في الآية: ذو العِزّة وهي القوّة، والشِدّة، والغلبة، والرّفعة[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أعظم الظُّلم تعظيم الحقير والتَّغافل عن القدير

يخبر الله سبحانه أنّ هؤلاء المشركين لم يعظِّموا الله حقّ تعظيمه، إذ جعلوا له شركاء، وهو القويّ الّذي خلق كلّ شيء، العزيز الّذي لا يغالَب[5]، بعد بيان تعظيمهم الأصنام التي لا تقوى على فعل شيء؛ لبيانِ ظلم المشرك لعقله ونفسه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ الفصلِ وبلاغته:

الإشراك بالله نتيجة حتميَّة عند خلوّ القلب من مقام التَّعظيم

فُصل قَوْله تَعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ عن الآية السّابقة لوجود كمال الاتّصال بينهما، فقد وقعت جُمْلَةُ ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ نتيجة وتذييلًا للجملة قبلها، فبينهما ما يشبه علاقة العلّة في الحكم بالمعلول، أو المقدّمة والنّتيجة، وذلك لأنّ عبادتهم الأصنام مع الله استخفاف بحقّ إلهيّته تعالى إذ أشركوا معه في أعظم الأوصاف أحقر الموصوفين[6]، وهذا من باب البيانِ للسّابق، ففيه تنبيهٌ على ضرورةِ الانتباه في تربية القلب على التعظيم للحقِّ سبحانه.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عزّ).
(2) الراغب، المفردات: (عزّ).
(3) محمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (عزز).
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 260/ 1.
(5) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 341.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5030، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 342.

فائدةُ النفي بأداة ﴿مَا﴾:

الجمعُ بين معنَيَي التأكيدِ والعمومِ

استعمل النَّظم أداة النَّفي ﴿مَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾؛ للتأكيد على عدم معرفة المشركين لعظمة الله ﷻ حقّ المعرفة، حيث أشركوا به وسمّوا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة؛ لأنّ في حرف ﴿مَا﴾ من معنى التّأكيد ما ليس في غيره[1]، فهي آكد في النفي من (لم)[2]، كما أنَّها تدلُّ على معنى العموم، أي: إنَّهم ما قدروا الله تعالى حقَّ قدره في كلِّ ما يستحقه من التَّقدير والتَّعظيم.

نكتةُ التّعبير بصيغة الماضي:

إذا رسخ الكفرُ في القلوبِ امتدَّ أثره وطال أمده

جاء فعل ﴿قَدَرُواْ﴾ في قول الله تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ بصيغة الماضي دلالةً على تحقّق استخفاف المشركين بحقّ ألوهيّته سبحانه، ورسوخهم في الكفر بعدم تعظيم الله حقّ تعظيمه إذ أشركوا معه الضعفاء العجزة وهو الغالب القويّ[3]، وأنَّ عدم تقديرهم لله ربِّ العالمين ممتدٌّ في الزمن الماضي، فهو جمع بين الامتداد والرسوخ.

نكتة اختيار الاسم الجليل:

تبكيت الغافلين عن جليل العظمة وعظيم المهابة

آثر النظم ذكر الاسم الجليل في قَوْله تَعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ الجامع لأسمائه الحسنى موضع الضمير تعظيمًا لحقّ الألوهيّة، وتقريرًا للقوّة الكاملة والعزّة القاهرة لله سبحانه، فهو جديرٌ بتلك الصفات الفائقة[4]، وحَقيقةُ العَظَمَةِ مُخْتَصَّةٌ به وحده سبحانه، فلا يُساوى بِهِ غَيرُه، فيُذْكرُ اسْمُ الجلالَةِ لإحضارِ المعْنى

(1) قال سيبويه: "وإذا قال: (لقد فعل)، فإنّ نفيه: (ما فعل)، لأنّه كأنّه قال: (والله لقد فعل)، فقال: (والله ما فعل)" سيبويه، الكتاب: 3/ 117.
(2) السّامرائيّ، معاني النَّحو: 4/ 569.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 07/ 362.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 533.

الجامِعِ لِصِفاتِ الكمالِ[1]، وفي هذا الإيراد تبكيتٌ لمن لم يتلفت إلى هذه المعاني، وينتبه إلى هذه الدَّقائق، فوقع في ظلمة عبادة الأصنام.

غرضُ التعبير بالمفعول المطلق:

التوكيد على عدم تعظيم المشركين لربّ العالمين

انتصب لفظ ﴿حَقَّ﴾ في قَوْله تَعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ على النيابة عن المفعول المطلق لإضافته إلى المصدر وهو ﴿قَدْرِهِۦٓ﴾، والغرض منه التّوكيد على عدم تعظيم المشركين لربّ العالمين حقّ التّعظيم، حيث جعلوا هذه الأصنام على نهاية خساستها شريكة له في المعبوديَّة[2]، والإضافة هنا من إضافة الصفة إلى الموصوف، والأصل: ما قدروا اللّه قدرَهُ الحَقَّ[3].

بلاغة الالتفات:

توبيخ المشركين بتنزيلهم منزلة الغائبين

أوثر في قَوْله تَعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ العدول عن الخطاب بأن يقال: (ما قدرتم اللّه حقّ قدره) إلى أسلوب الغيبة على سبيل الالتفات، وفي ذلك تعريض بهم بأنّهم ليسوا أهلًا للمخاطبة وتوبيخ لهم حيث أشركوا به وسمَّوا باسمه ما هو أبعدُ الأشياءِ عنه مناسبةً، وبذلك أيضًا يندمج في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ تهديد لهم بأنَّه سيُعاقبهم على وقاحتهم[4].

علّة الفصل:

تعليلُ جملةِ التَّعليل ببيانٌ يسبقه بيانٌ

فُصل قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ عن الكلام السابق لكمال الاتّصال بينهما، فقد وقعت جُمْلَةُ ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ تعليلًا لمضمون الجملة قبلها؛ فإنّ ما أشركوه مع اللّه في العبادة ضعيفٌ ذليلٌ، فما قدروه حقّ قدره؛ لأنّه قوي عزيز فكيف يشاركه الضّعيف الذّليل[5]، فهو تعليلٌ لجملة التعليل، وبيان بعد بيان.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 40.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 252.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 07/ 362.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 343.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 343.

غرضُ توالي المؤكّدات:

إشراك الضعيف المهين إنكار لعظمة ربّ العالمين

ورد في قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ جملة من المؤكدات، وهي حرف التّوكيد، ولام الابتداء، والجملة الاسمية، مع أنّ مضمونها ممّا لا يُختلف فيه، وذلك لنكتة تنزيل علمهم بذلك منزلة الإنكار؛ لأنّهم لم يجروا على موجب العلم حين أشركوا مع القويّ العزيز ضعفاء أذلة[1].

نكتةُ إظهار ما حقُّه الإضمار:

من شأن الإظهار التّعظيم والتّنبيه على استحقاق العبودية

جاء الاسم الجليل في قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ مظهرًا، وحقه الإضمار لتقدمه، ونكتة ذلك تعظيم قدره ﷻ، فهو اللّه العظيم المستحق للعبادة وحده دون ما سواه من الأوثان، والتنبيه على سبب استحقاق العبادة: وهو انفراده بصفة الألوهيّة[2]، ولتوريث المهابة في النفوس، ولتجري هذه الجملة مجرى الأمثال السّائرة.

سر إيثار (القويّ العزيز):

تقابل المباني من شأنه توليد المعاني وتوريث الدلالات

اقترن اسما ﴿لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ في الفاصلة؛ لأنّ الحقّ ﷻ تكلّم في المثل السابق عمّن انصرف عن عبادته سبحانه إلى عبادة الأصنام فقال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾؛ فحسن أن يذكر في مقابل هذا الضَّعف صفة القوَّة ﴿لَقَوِيٌّ﴾، قوّةً عن العابد؛ لأنّه ليس في حاجة إلى عبادته، وقوّةً عن المعبود لأنّه لو شاء حَطَّمَهُ، ولما انصرف المشركون عن توحيد اللّه وعبدوا غيره، فهذا فيه مضارّة ومعارضة، فأخبر سبحانه عن نفسه تهديدًا لهم بأنّه عزيز لا يُغالب[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 343.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 576.
(3) الشعراويّ، تفسير الشعراوي: 16/ 9936.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»